حُسْنُ الظنِّ بالإِخْوَانِ

والفَرَح بتَبْرِئَة ساحتهم

ودفاع بعضهم عن بعض

تأليف
أبي يحيى
محمد بن عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

حقوق الطبع محفوظة ، لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه
بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه فى أي نظام ميكانيكي
أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه .
ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى
دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف .

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م
رقم الإيداع
الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

وبعد ..فهذه رسالة تتعلَّق بخُلق جَميل اندثر بين الأُخوة،ألا وهوحسن الظن بالمسلمين ، والفرح والاستبشار بتبرئة ساحتهم مما نُسب إليهم من مساوئ.

يأتي هذا في الوقت الذي يُترحَّم فيه على مكارم الأخلاق وسلامة الصدور، وحُبّ الخير للإخوان وعدم الشماتة بهم.

ويرحم الله الشافعي:

أخرج ابن أبي حاتم بسندٍ صحيح عن الرَّبِيع بْن سُلَيْمَان قَالَ: « دَخَلْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقُلْتُ لَهُ:قَوَّى الله ضَعْفَكَ.

فَقَالَ: لَوْ قَوَّى ضَعْفِي قَتَلَنِي(١).

فَقُلْتُ: وَاللهِ، مَا أَرَدْتُ إِلا الْخَيْرَ.

قَالَ: أَعْلَمُ أَنَّكَ لَوْ شَتَمْتَنِي لَمْ تُرِدْ إِلا الْخَيْرَ»(٢).

نعم ! من الأخلاق المفقودة : تقديم إحسان الظن بالمسلمين!

يقال:لعلَّه لا يقصد هذا المعني، لعله كذا..... فأين هذه الأخلاق ؟!

قال الشاعر:

ما بالُ قوم لِئامٍ ليسَ عِندَهُم ...

عهد وليس لهم دين إذا ائتمنوا

صمٌّ إذَا سمعُوا خيراً ذُكرتُ بهِ ...

---

(١) لأن أصل اللفظة لغوياً زيادة الضعف وتمكُّنه.وكان عليه أن يقول: قوى الله قوتك، أو اضعف ضعفك.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في«آداب الشافعي ومناقبه» ص ٢٠٩ والبيهقي في «مناقب الشافعي»(٢/ ١١٧) بسندٍ صحيح كما قلت.

وإنْ ذُكرتُ بسوءٍ عندهمْ أذنُوا(١)

إنْ يسمعُوا ريبةً طارُوا بِها فرحـًا ...

منِّي، ومَا سمعُوا منْ صالحٍ دفنُوا(٢)

وقدْ رجوْا أنْ أرى أعراضهم حرما ...

ويستحلّون عرضي، ما لهم؟ لعنُوا!(٣)

---

(١) أذنوا: أي أعلموا وفرحوا.

(٢) يعني يسترون جميل الرجل ويُظهرون القبيح فقط بلا موجب.

وأعني بالموجب:أن يكون الحالة حالة ردٍ للباطل فلا يلزم ذكر المحاسن إذاكانت إذا كان المردود عليه مخالفاً لأصول منهج أهل السنة، فإن ذكر المحاسن والحالة هذه إفساد للرد، بل مخالف لطريقة الرد عند السلف.

فقد ردَّ النبي ﷺعلى أقوام وأفراد ولم يذكر محاسن، وكذا الصحابة رضي الله عنهم، وتبعهم علماء الجرح والتعديل على هذا، وإنما هي بدعة أحدثها أهل البدع«الموازنات بين الحسنات والسيئات»والهدف منه إفساد الردود على مَن يتعصبون لهم، كما بينت ذلك في كتابي«فقه الرد على المخالف» يسر الله إخراجه.

(٣) حكاه أسامة بن منقذ في« لباب الآداب»ص ٤٠٣.

وأخرج ابن حبان [١] بسنده عَنْ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطِيعٍ أَنَّهَا قَالَتْ لِزَوْجِهَا طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيّ، وَكَانَ أَجْوَدَ قُرَيْشٍ فِي زَمَانِهِ: مَا رَأَيْت قَوْمًا أَلْأَمَ مِنْ إخْوَانِك، قَالَ مَهْ وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: أَرَاهُمْ إذَا أَيْسَرْت لَزِمُوك، وَإِذَا أَعْسَرْت تَرَكُوك. قَالَ: هَذَا وَاَللهِ مِنْ كَرَمِهِمْ، يَأْتُونَنَا فِي حَالِ الْقُوَّةِ بِنَا عَلَيْهِمْ، وَيَتْرُكُونَنَا فِي حَالِ الضَّعْفِ بِنَا عَنْهُمْ.

قال ابن أبي الدنيا :[٢] فَانْظُرْ كَيْفَ تَأَوَّلَ بِكَرْمِهِ هَذَا التَّأْوِيلَ حَتَّى جَعَلَ قَبِيحَ فِعْلِهِمْ حَسَنًا، وَظَاهِرَ غَدْرِهِمْ وَفَاءً. وَهَذَا مَحْضُ الْكَرَمِ وَلُبَابُ الْفَضْلِ، وَبِمِثْلِ هَذَا يَلْزَمُ ذَوِي الْفَضْلِ أَنْ يَتَأَوَّلُوا الْهَفَوَاتِ مِنْ إخْوَانِهِمْ.

قال: وَالدَّاعِي إلَى هَذَا التَّأْوِيلِ شَيْئَانِ: التَّغَافُلُ الْحَادِثُ عَنْ الْفَطِنَةِ، وَالتَّأَلُّفُ الصَّادِرُ عَنْ الْوَفَاءِ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

إذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَك زَلَّةٌ ... فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لِزَلَّتِهِ عُذْرَا

---

(١) في«روضة العقلاء» ص ١٢٨، وفي سنده من لم أعرفه الآن.

(٢) في«أدب الدنيا والدين» ص ١٨٠

أُحِبُّ الْفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ ... كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقْرَا

سَلِيمُ دَوَاعِي الصَّبْرِ لَا بَاسِطٌ أَذًى ... وَلَا مَانِعٌ خَيْرًا وَلَا قَائِلٌ هَجْرَا»

فبعض الناس لا تراه إلا منتقداً دائمـًا ينسى حسنات الناس، غالي في الردِّ، لا يذكر إلا مثالبهم، فهو مثل الذباب يترك موضع البُرء والسلامة،ويقع على الجُرح والأذى، وهذا من رداءة النفوس، وفساد المزاج.

فقد كَثُرَ والله في هذا الزمان إساءة الظَنِّ بالغير، وبلا موجب، بل الشخص ربما يَذكُر علنـًا البراءة مما نسب إليه!

وثَمَّ قومٌ يُصِرُّون على اتهامه بما نسب إليه ، بل أحيانـًا بعد توبته المُعلنة المكلَّله بالبيان، فالله أكبر!

ومن حمل الناس على المحامل الطيبة،وأحسن الظن بهم سلمت نيته، وانشرح صدره، وعُوفي قلبه، وحفظه الله من السوء والمكاره.

ولكراهيتهم لبراءة المقدوح فيه،لا يَتثَبَّتون مما يُنسب إليه من أخطاء، بل يفرحون بما يُشاع على أخيهم مِن زلَّات فيشيعُها الواحد منهم وهو فرح مَسرور.

ولِمَا لا وقد جاءه ما يريده ويبحث عنه فيلوكه، ويستظهر بغيرته على الحق والمنهج، ولو كان غيوراً على منهج السلف للزم أخلاقهم وطريقة نقدهم ...

ولعل سبب هذا حب الظهور بالنقد، وحب الظهور يقصم الظهور، فأي شرف في ذلك؟

فأين قول رسول الله ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**»؟ (١).

وأين نحن من أخلاق السلف؟!

أنَّى لهؤلاء أن يعلمُوا أنهم عن السلف- وإن نسبوا أنفسهم إليهم- بمعزل؟

و لقد نأى السلف بأنفسهم عن هذا الخلق الذميم- سوء الظن بالإخوان- فكم كانوا يلتمسون الأعذار لإخوانهم.

---

(١) وهو حديث ثابت أخرجه بعض أصحاب السنن.

وقد جوَّد ابن مفلح الحنبلي(١) ما أخرجه ابن ماجة (٢) عَنْ جُودَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنِ اعْتَذَرَ إِلَى أَخِيهِ بِمَعْذِرَةٍ فَلَمْ يَقْبَلْهَا، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ خَطِيئَةِ صَاحِبِ مَكْسٍ**» وفي صحته نظر .

وقد أخرج هناد في«الزهد»(٣) بسندٍ صحيح عَنِ الْحَسَنِ البصري قَالَ: «أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِينَ الْعَفْوُ».

وَورد عن الْأَحْنَف بن قيس قال: إنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ مُعْتَذِرٌ تَلَقَّهُ بِالْبِشر(٤).

---

(١) في«الآداب الشرعية»١/ ٣٠٢).

(٢) في«سننه»(٣٧١٨) وتمام تخريجه وذكر شواهده في كتابي «تذكير الأنام بصلة الأرحام»ص ١١٦ الطبعة الثانية.
وكنت قد ذكرت هناك أثراً عن الحسين بن علي رضي الله عنه قال:لو أن رجلا شتمني في أذني هذه واعتذر لي في أذني هذه لقبلت منه.وكنت لم أقف على إسناده يومها،ووقفت الآن على إسناده ، فقد أخرجه أبو أحمد الحاكم في«الكنى»(٢١٦/٥) وفي سنده أحمد بن عيسى متهم

(٣) «الزهد»(١٢٨٩)

(٤) حكاه ابن مفلح الحنبلي في«الآداب الشرعية»(٣٠٢/١).

وأخرج ابن حبان [١] بإسناده عن حميد الطويل عن أبي قلابة قال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذراً، فإن لم تجد له عذراً، فقل: لعلَّ له عذراً لا أعلمه.

وعن إسحاق بن إبراهيم أنه سأل أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن

الحديث الذى جاء :«**إذا بلغك شيء عن أخيك فاحمله على أحسنه، حتى لا تجد له محملاً** » [٢]ما يعني به؟

قال أبو عبد الله: تعذره، تقول لعله كذا، لعله كذا.

وقال المروزي: قلت لأبي عبد الله: إن موسى بن هارون بن عبد الله قد جاء إلى رجلٍ شتمه لعله يعتذر إليه، فلم يخرج إليه، وشقَّ الباب فى وجهه، فعجب وقال: سبحان الله! أما إنه قد بغي عليه سيُنصر عليه، ثم قال: رجلٌ نقل قدمه ويجيء إليه يعتذر لايخرج؟[٣]

---

(١) في«روضة العقلاء»ص ١٨٤.

(٢) وهو ليس بحديث، وإنما هو أثر عن عمر رضي الله عنه.

(٣) «الآداب الشرعية»(١/٣٠٢).

وقد بين ﷺ أن الداعي لسوء الظن هو الشيطان الرجيم، وذلك لكونه خلق يؤول إلى التحريش بين المسلمين ووقوع البأس بينهم.

وقد قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ، وَلَكِنْ بِالتَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»(١)

ووقوع البأس حاصل في هذه الأمة بينهم وبين بعض:

ففي صحيح مسلم(٢) قوله ﷺ «..**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي:أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا،وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا**».

فكان على العُقلاء أن يدفعوا أسباب حصول البأس في الأمة، ويقتلعوا ذرائع ذلك قبل أن يتفاقم.

وستأتي إن شاء الله أخبارالقوم وأحوالهم بشأن حُبِّ تبرئة ساحة إخوانهم وحسن الظن بهم، وذكر بعض ما يتعلق بالموضوع.

---

(١) أخرجه أبو يعلى(٢٢٩٤) وغيره بسندٍ على شرط مسلم .

(٢) برقم (٢٨٩٠).

ففي ذلك توعية،ووقاية، ونشر أخلاق حسنةحميدة دعا إليها الإسلام، وينصلح بها المجتمع وبالله التوفيق.

ونسأل الله تعالى أن ينفع بكتابنا هذه نفعاً عظيما يليق بمزيد كرمه وسعة عطائة وجوده، كما نسأله الإخلاص في القول والعمل، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله أوله وآخره.

كتبه

أبو يحيي محمد بن عبده

بلطيم- كفر الشيخ- مصر

تعريف حسن الظن

والمطلوب من المسلم نحو أخيه

حسن الظن: هو تغليب جانب الخير على جانب الشر

وسوء الظن: هو اعتقاد جانب الشر وترجيحه على جانب الخير فيما يحتمل الأمرين معاً. (١)

والظن يأتي في كتاب الله على معنيين كما قال قَتَادَةُ:

«الظَّنُّ ظَنَّانِ، فَظَنٌّ مُنْجٍ،وَظَنٌّ مُرْدٍ».

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ الحاقة: «وَهَذَا الظَّنُّ الْمُنْجِي ظَنًّا يَقِينًا» وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ فصلت «هَذَا ظَنٌّ مُرْدٍ» (٢)

---

(١) انظر «نضرة النعيم»(١٠/ ٤٦٥٢).

(٢) أخرجه الطبري في«تفسيره»(٢٠/ ٤١٤) وغيره بسندٍ صحيح .

توجيه الأئمة نحو هذا الخلق الذميم

(خلق سوء الظن)

قال الامام ابن حجر الهيتمي[١]:

اعْلَمْ أَنَّ سُوءَ الظَّنِّ حَرَامٌ مِثْلُ سُوءِ الْقَوْلِ، وَلَسْت أَعْنِي بِهِ إلَّا عَقْدَ الْقَلْبِ وَحُكْمَهُ عَلَى غَيْرِهِ بِالسُّوءِ، فَأَمَّا الْخَوَاطِرُ وَحَدِيثُ النَّفْسِ فَهُوَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ، بَلْ الشَّكُّ أَيْضًا مَعْفُوٌّ عَنْهُ، وَلَكِنَّ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ أَنْ تَظُنَّ، وَالظَّنُّ عِبَارَةٌ عَمَّا تَرْكَنُ إلَيْهِ النَّفْسُ، وَيَمِيلُ إلَيْهِ الْقَلْبُ. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴿١٢﴾﴾ الحجرات

وقال ابن قدامة[٢]:

«ليس لك أن تظن بالمسلم شرًّا، إلا إذا انكشف أمر لا يحتمل التأويل فإن أخبرَك بذلك عدل، فمال قلبك إلى تصديقه، كنت معذوراً، لأنك

---

(١) في«الزواجر» الكبيرة الثامنة والتاسعة والأربعون.

(٢) في «مختصر منهاج القاصدين»ص ١٧٢

لو كذبته كنت قد أسأت الظن بالمخبر، فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيئه بآخر، بل ينبغي أن تبحث، هل بينهما عداوة وحسد؟ فتتطرق التهمة حينئذ بسبب ذلك، ومتى خَطَر لك خاطر سوء على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقى إليك خاطر السوء ».

سَبَبُ تحرِيمِ سوءِ الظن بالإخوان

نقول وبالله التوفيق:

أَسْبَابَ الْقُلُوبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ، فَلَيْسَ لَك أَنْ تَعْقِدَ فِي غَيْرِك سُوءًا إِلَّا إذَا انْكَشَفَ لَك بِعِبَارَةٍ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يُمْكِنُك أَلَّا تَعْتَقِدَ مَا عَلِمْته وَشَاهَدْته وَمَا لَمْ تُشَاهِدْهُ بِعَيْنِك وَلَمْ تَسْمَعْهُ بِأُذُنِك ثُمَّ وَقَعَ فِي قَلْبِك؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِيهِ إلَيْك، فَيَنْبَغِي أَنْ تُكَذِّبَهُ فَإِنَّهُ أَفْسَقُ الْفُسَّاقِ.

أقسامُ سوءِ الظَنِّ إجمالاً ودرجاته

الظن المحرم درجات، بعضها أشدُّ مِن بَعض، وهو أقسام:

الأول سوء الظن بالله: وهو من أبلغ الذنب وجاءت الأحاديث في النهي عنه، وأنه لا يليق بالله، والمعنى ما قاله العلماء: حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه.

قال تعالى في الحديث القدسي:

«**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي...**» .[١]

وفي حديث وَاثِلَة بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:« **قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**» .[٢]

وفي رواية:قال حَيَّانُ أَبُو النَّضْرِ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَمِينَ وَاثِلَةَ فَمَسَحَ بِهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَوَجْهِهِ لِبَيْعَتِهِ بِهَا رَسُولَ ﷺ، فَقَالَ لَهُ وَاثِلَةُ: وَاحِدَةٌ، أَسْأَلُكَ عَنْهَا؟ قَالَ: وَمَا هِيَ؟

قَالَ: كَيْفَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم(٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الدارمي(٢٧٧٣) بسندٍ صحيح.

قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: وَأَشَارَ بِرَأْسِهِ، أَيْ حَسَنٌ قَالَ وَاثِلَةُ:أَبْشِرْ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:

« **قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ** »(١)

وفي صحيح مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِالله عَزَّ وَجَلَّ**»(٢).

وعَنْ خَيْثَمَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله بن مسعود رضي الله عنه: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِالله عَزَّ وَجَلَّ وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِالله عَزَّ وَجَلَّ الظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ظَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ»(٣)

وقد بين الله تعالى أن سوء الظن بالله من ظنون الجاهلية.

---

(١) أخرجه أحمد(١٦٠١٦) بسندٍ صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في«حسن الظن»(٨٣) بإسنادٍ فيه لين.

قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴿١٥٤﴾﴾ آل عمران.

وهذا موجب لغضبه سبحانه. قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ الفتح.

وفي الباب حديث صحيح المعنى عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي المَوْتِ، فَقَالَ: «**كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، قَالَ: وَالله يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَرْجُو الله، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ الله مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ**»(١).

ولكن في سنده مقال بينته في غير هذا المقام.

ومن أثر سوء الظن بالله اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، وهذا لا يليق بالله، ولا بكرمه ولا بجوده سبحانه، وبل هو من أكبر الكبائر

(١) أخرجه الترمذي (٩٨٣).

النوع الثاني سوء الظن بالمسلمين والأبرياء وهو محرم:

فإنه ظلمٌ للمؤمن،ومُجلبٌ للبغضاء بين المسلمين .

وستأتي الأحاديث في بيان حُرمته قريباً إن شاء الله.

ولأن مَنْ حَكَمَ بِشَرٍّ عَلَى غَيْرِهِ بِمُجَرَّدِ الظَّنِّ حَمَلَهُ الشَّيْطَانُ عَلَى احْتِقَارِهِ وَعَدَمِ الْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ وَالْتَوَانِي فِي إِكْرَامِهِ،وَإِطَالَةِ اللِّسَانِ فِي عِرْضِهِ وَكُلُّ هَذِهِ مُهْلِكَاتٌ.ولذلك لَمَّا مَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ،فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**» فَقَالاَ سُبْحَانَ الله يَا رَسُولَ الله قَالَ:«**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا**»(١)

فَأَشْفَقَ ﷺ عَلَيْهِمَا فَحَرَسَهُمَا..وَكُلُّ مَنْ رَأَيْتَهُ سَيِّئَ الظَّنِّ بِالنَّاسِ طَالِبًا لِإِظْهَارِ مَعَايِبِهِمْ. فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ لِخُبْثِ بَاطِنِهِ وَسُوءِ طَوِيَّتِهِ، فَإِنَّ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨١) ومسلم(٢١٧٥).

الْمُؤْمِنَ يَطْلُبُ الْمَعَاذِيرَ لِسَلَامَةِ بَاطِنِهِ،وَالْمُنَافِقُ يَطْلُبُ الْعُيُوبَ لِخُبْثِ بَاطِنِهِ(١)

وصدق من قال:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

وَعَادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عِدَاتِهِ ... وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ.

فكل من رأيته سيئ الظن بالناس طالباً لإظهار معايبهم فاعلم أن ذلك لخبث باطنه، ولذلك فإن المنافق يطلبُ العيوب لخبث باطنه.

وقد نهى الرب تعالى عن إساءة الظن بالإخوان فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ الحجرات.

النوع الثالث من أنواع الظنون: ظنٌ لا إثم فيه:

وهو الذي يعرض في قلب المسلم في أخيه بسبب ما يوجب الريبة، ولكن لا يتكلم به، وهو الذي عناه سفيان لما قال: «الظَّنُّ

---

(١) «الزواجر» (١/١٤٣) بتصرُّف.

ظَنَّانِ: فَظَنٌّ فِيهِ إِثْمٌ ،وَظَنٌّ لَيْسَ فِيهِ إِثْمٌ،فَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِي فِيهِ إِثْمٌ فَالَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ،وَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِثْمٌ فَالَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ بِهِ»[١]

ويؤيده قوله تَعَالَىَ: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴿١٢﴾﴾ الحجرات.

وَلم يَجْعَل كُله إِثْمًا.

وكذلك يؤيده قوله ﷺ في الحديث المتقدم:«..**فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**..»،ولا يكون حديثاً إلا بالتكلم.

ويؤيِّده حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ قَالَ:«**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي كُلَّ شَيْءٍ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ**»[٢].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٨) وأبو نعيم في«الحلية»(١٦/٧)وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/١٨)

(٢) أخرجه النسائي (٥٥٩٧) وهو حديث ثابت .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٠٢/٧) وأبو نعيم في«الحلية» (٤/ ٢٧٤) بسندٍ حسن.

وعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: « إِذَا بَلَغَكَ عَنْ أَخِيكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ فَالْتَمِسْ لَهُ الْعُذْرَ جَهْدَكَ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ لَهُ عُذْرًا فَقُلْ فِي نَفْسِكَ: لَعَلَّ لِأَخِي عُذْرًا لَا أَعْلَمُهُ »(١).

وقال غَالِبٌ الْقَطَّانُ قَالَ: كَانَ بَكْرٌ الْمُزَنِيُّ يَقُولُ: «إِيَّاكَ مِنْ كَلَامٍ مَا إِنْ أَصَبْتَ فِيهِ لَمْ تُؤْجَرْ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ وَزَرْتَ، وَذَلِكَ سُوءُ الظَّنِّ بِأَخِيكَ»(٢)

وقال سُهَيْلٌ، أَخُو حَزْمٍ الْقُطَعِيِّ: رَأَيْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ رَحِمَهُ الله فِي مَنَامِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا يَحْيَى لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا قَدِمْتَ بِهِ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «قَدِمْتُ بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ ، مَحَاهَا عَنِّي حُسْنُ الظَّنِّ بِالله»(٣)

وقال مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي حَاتِمٍ الْأَزْدِيُّ،: سَأَلْتُ عَبْدَ الله بْنَ دَاوُدَ عَنِ التَّوَكُّلِ، فَقَالَ: « أَرَى أَنَّ التَّوَكُّلَ حُسْنُ الظَّنِّ »(٤)

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»(٢/ ٢٨٥) بسندٍ ثابت عن أبي قلابة رحمه الله .

(٢)أخرجه ابن سعد في«طبقاته» (٢٠٩/٧) بسندٍ حسن إن شاء الله ..

(٣)أخرجه ابن أبي الدنيا في«حسن الظن»(٧) بإسناد حسن إن شاء الله.

(٤) قاله ابن أبي الدنيا في«حسن الظن» ص ٢٧.

وهذه عدَّة أخبار في الباب تؤيِّد المعنى في ثبوت أسانيدها نظر

قد ورد عَنْ عَنْ بُدَيْلٍ وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ الله مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ**»(١)

وعن بديل بْنِ وَرْقَاءَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَبْدُوَ لَكَ مِنْهُ مَا يَغْلِبُ (٢).

وعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ بَعْضُ إِخْوَانِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ: «أَنْ ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ مَا يَغْلِبُكَ»(٣).

وعن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في«حسن الظن»(٦) بإسنادٍ ليس بالقوي.

(٢) أخرجه الخرائطي في«اعتلال القلوب» (٧٥٥) وابن قُدامة في«المتحابين في الله»(١٥١) بإسنادٍ فيه من لم أقف له على ترجمة.

(٣) أخرجه أبي عبد الرحمن السلمي في«آداب الصحبة»(٤٣) والبيهقي في«الشعب»(٧٩٩٢) وفي سنده من لم أعرفه.

«إِذَا بَلَغَكَ عَنْ أَخِيكَ شَيْءٌ، فَالْتَمِسْ لَهُ عُذْرًا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ لَهُ عُذْرًا، فَقُلْ: لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا »[١].

وعن جَعْفَر بْن مُحَمَّدٍ:

«إِذَا بَلَغَكَ عَنْ أَخِيكَ الشَّيْءُ تُنْكِرُهُ فَالْتَمِسْ لَهُ عُذْرًا وَاحِدًا إِلَى سَبْعِينَ عُذْرًا، فَإِنْ أَصَبْتَهُ وَإِلَّا قُلْ: لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا لَا أَعْرِفُهُ »[٢].

وظاهر الحديث«**إن الله تجاوز...**» أن المراد بالعمل عمل الجوارح، لأن المفهوم من لفظ:« **مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ** » يشعر بأن كل شيء في الصدر لا يؤاخذ به سواء تَوَطَّن به أم لم يَتَوَطَّن.

قال الْقَاضِي أبو يَعْلَى[٣]: إِنَّ الظَّنَّ مِنْهُ مَحْظُورٌ وَهُوَ سُوءُ الظَّنِّ بِاَللهِ، وَالْوَاجِبُ حُسْنُ الظَّنِّ بِاَللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَلِكَ سُوءُ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِ الَّذِي ظَاهِرُهُ الْعَدَالَةُ مَحْظُورٌ، وَظَنٌّ مَأْمُورٌ بِهِ كَشَهَادَةِ الْعَدْلِ، وَتَحَرِّي الْقِبْلَةِ، وَتَقْوِيمِ الْمُتْلَفَاتِ، وَأَرْشِ الْجِنَايَاتِ، وَالظَّنِّ الْمُبَاحِ كَمَنْ شَكَّ فِي صَلَاتِهِ إِنْ شَاءَ عَمِلَ بِظَنِّهِ وَإِنْ شَاءَ بِالْيَقِينِ.

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في«التوبيخ»(١٠٠)والبيهقي في «الشعب»(٧٩٨٩).

(٢) أخرجه البيهقي في«الشعب»(٧٩٩١).

(٣) كما في«الآداب الشرعية»(١/٤٥).

وقد قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ«بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ»[١] قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه :لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مُسْلِمٍ يَسْمَعُ مِنْ أَخِيهِ كَلِمَةً يَظُنُّ بِهَا سُوءًا وَهُوَ يَجِدُ لَهَا فِي شَيْءٍ مِنْ الْخَيْرِ مَخْرَجاً.[٢]

ومع ضعف أسانيد ذلك فإنها بمجموعها تدل على أصل حسن الظن عند السلف وتجَنُّبهم لسوء الظن، والله أعلم، وهل يُظن بعافية الأمة إلا ذلك؟ [٣]

وقد حكى القرطبي عن الْمُهْدَوِيِّ:أن أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الظَّنَّ الْقَبِيحَ بِمَنْ ظَاهِرُهُ الْخَيْرُ لَا يَجُوزُ، وَأَنَّهُ لَا حَرَجَ فِي الظن القبيح بمن ظاهره القبح.[٤] ولذلك كان:

---

(١) المصدر السابق(١/٤٧).

(٢)وأخرجه ابن عدي في«الكامل»(٨/ ٤٧٩) ولا يصح سنده.

(٣) فهم خير القرون، وخير الناس بنص حديث رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ:«... وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ...» أخرجه مسلم(١٨٤٤).

(٤) تفسير القرطبي (١٦/ ٣٣٢).

النوع الرابع من الظنون :

وهو سوء الظن بأهل الشرِّ والفساد، وما كان من ظنٍ محفوف بقرينة،فهو ظن راجح.

كيف يُحسَّن الظن بأهل البدع والروافض والمنحرفين؟

وتقدم عن أكثر العلماء أنه لا حرج فِي الظن السوء بمن ظاهره القبح.

قالت عَائِشَةُ رضي الله عنها قَالَتْ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«**مَا أَظُنُّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا» قَالَ اللَّيْثُ:«كَانَا رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ**»[(١)].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ أَسَأْنَا بِهِ الظَّنَّ»[(٢)] .

فإساءة الظن بأهل الشر- لا سيما مَن يُعلنون بشرهم- مباح بل ربما كان من الفراسة، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري(٦٠٦٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٩٢)وابن المنذر في «الأوسط» (٤/١٣٤) وابن الأعرابي في«المعجم»(١٠٩٢) وابن خزيمة (١٤٨٥) وغيرهم وهو صحيح عن ابن عمر رضي الله عنه.

ولا يتهم المتفرِّس بسوء الظن، فالفراسة ملكة مبنية على الخبرة أو التجارب، فهي باب غير سوء الظنِّ أو حُسنِه، وإن كان قد ينبني عليها حسن الظن أوسوئه بحق من طَرَفٍ.

تحسين الظن بالمؤمنين

وهو خلق مُرَغَّبٌ فيه وعلى ذلك أدلة متواترة،كلها تدل على أنه ينبغي أن يكون ظن المؤمن بالمؤمن حسن أبداً وجوباً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ النور.

والمفهوم : أن حسنَ الظن يكون بالمؤمن صدقاً مبيناً كما أن سوء الظنِّ بالمؤمنين إفكاً مبيناً، فعكسه صدقاً مبيناً.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات.

قال الطبري:إن ظنّ المؤمن بالمؤمن الشرّ لا الخير إثم، لأن الله قد نهاه عنه، ففعل ما نهى الله عنه إثم.(١)

---

(١)«تفسير الطبري» (٢٢/٣٠٤).

وقد نهى النبي ﷺ عن سوء الظن بالمسلمين:

ففي الصحيحين [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»[٢].

والمتأمل يجد أن التجسس والتحسس المنهيَّ عنهما هو أثر من آثار سوء الظنِّ غالباً ،فهو عظم ما يؤدي إلى ذلك

فنسأل الله العافية والسلامة.

سوء الظَّنّ بالزَّوجة

---

(١) البخاري(٥١٤٣) ومسلم(٢٥٦٣).

(٢) المراد النهي عن ظن السوء.

قال الخطابي في«معالم السنن»(٤/١٢٣):«قوله إياكم والظن: يريد إياكم وسوء الظن وتحقيقه دون مبادىء الظنون التي لا تملك. وقوله لا تجسسوا معناه لا تبحثوا عن عيوب الناس ولا تتبعوا أخبارهم».

قال جَابِرُ بن عبد الله رضي الله عنه : «نَهَى رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا يَتَخَوَّنُهُمْ[١]، أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ»[٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ، فَقَالَ:«**هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:«**مَا أَلْوَانُهَا**» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ:«**هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ**» قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ، قَالَ: «**فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ**»[٣]

كذا دفع النبي ﷺ سوء الظن الذي اعترى الرجل بشأن زوجته.

فالعاقل يتجنَّب سوء الظن

---

(١)يتخونهم:يظن خيانتهم ويكشف أستارهم ويكشف هل خانوا أم لا ومعنى هذه الروايات كلها أنه يكره لمن طال سفره أن يقدم على امرأته ليلا بغتة، وقد بوَّب البخاري له بباب لاَ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلًا إِذَا أَطَالَ الغَيْبَةَ، مَخَافَةَ أَنْ يُخَوِّنَهُمْ أَوْ يَلْتَمِسَ عَثَرَاتِهِمْ

(٢)أخرجه البخاري(٥٢٤٣) ومسلم (٧١٥) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري(٦٨٤٧) ومسلم (١٥٠٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ أَنْ لَوْ وَجَدَ أَحَدُنَا امْرَأَتَهُ عَلَى فَاحِشَةٍ، كَيْفَ يَصْنَعُ إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ؟ وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَتَاهُ، فَقَالَ: « إِنَّ الَّذِي سَأَلْتُكَ عَنْهُ قَدِ ابْتُلِيتُ بِهِ...الحديث[1]

سيرة السلف رضي الله عنهم في هذا الباب

قال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه قال: إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ الله يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ »[2]

وكم من بيوت مُزِّقَتْ بعد تماسكها بسبب سوء الظن من أحد الزوجين نحو الآخر، بل ربما كان سوء الظن سبباً في انحراف الآخر.

وكم ير الناظر انحراف زوجة لظنها السوء في زوجها، والعكس.

---

(١)أخرجه مسلم (١٤٩٣).

(٢) أخرجه البخاري(٢٦٤١).

نعم لا بد أن يحوط الرجل امرأته ويحميها من الفتن ويدفع عنها مقدمات الشرور ، وغيرة الرجل على أهله محمودة، ولكن هناك فرق بين هذه الممدوحات وبين سوء الظن أو الشك ، هذا ممنوع منه، والله الموفق.

وغالب سوء الظن في الزوجات أو في الأزواج- وليس بلازم- سببه زيغ أحدهما فيظن أن الآخر مثله فيسيئ الظن في الآخر.

أسباب سوء الظن بالإخوان

الغفلة عن عيوب النفس ورؤية محاسنها وتفضيلها على الغير،وقد أشار الصحابة رضي الله عنهم إلى الإقبال على عيوب النفس.

وصح عن أَبَي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قال: يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجِذْلَ، أَوِ الْجِذْعَ، فِي عَيْنِ نَفْسِهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ:

الْجِذْلُ: الْخَشَبَةُ الْعَالِيَةُ الْكَبِيرَةُ[1]

(١)أخرجه البخاري في«الأدب المفرد»(٥٩٢) بسندٍ صحيح عن أبي هريرة موقوفاً.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه قَالَ: عَجِبْتُ مِنَ الرَّجُلِ يَفِرُّ مِنَ الْقَدَرِ وَهُوَ مُوَاقِعُهُ، وَيَرَى الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَدَعُ الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ، وَيُخْرِجُ الضَّغْنَ مِنْ نَفْسِ أَخِيهِ وَيَدَعُ الضَّغْنَ فِي نَفْسِهِ، وَمَا وَضَعْتُ سِرِّي عِنْدَ أَحَدٍ فَلُمْتُهُ عَلَى إِفْشَائِهِ، وكيف ألومه وقد ضقت به ذرعا.(١)

وقال الشاعر:

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ...

ويعمى عن العيب الذي هو فيه

ولا خير فيمن لا يرى عيب نفسه ...

ويعمى عن العيب الذي بأخيه

من الأسباب المعينة على حسن الظن

هناك أسباب من اتخذها حمل كلام الإخوان على أحسن المحامل، والتماس الأعذار للآخرين، واستحضار مساوئ سوء الظن بالآخرين وآفات ذلك، والبعد عن تزكية

---

(١) أخرجه البخاري في«الأدب المفرد»(٨٨٦) بسندٍ يحسن إن شاء الله موقوفاً.

النفس، وقد نهى الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم .

وقال: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ النساء: ٤٩

والنظر في السنة وما فيها من أدلة تحث على إحسان الظن بالمسلمين مما يعين على حسن الظن.

والتأمل في آثار سوء الظن الوخيمة على الفرد والمجتمع، مما ينفِّر من هذا الخلق الذميم.

والدعاء بصالح الأخلاق مهم جداً

فقد أخرج ابن أبي شيبة [1] بسندٍ صحيح عن قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الأَعْمَالِ وَالأَخْلاقِ وَالأَهْوَاءِ وَالأَدْوَاءِ».

(١) في «المصنف» (٦/ ٧٧).

وما أحسنه من دعاء:اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِصَالِحِ الأَعْمَالِ وَالأَخْلَاقِ، إِنَّهُ لا يَهْدِي لِصَالِحِهَا، ولاَ يَصْرِفُ سِيِّئَهَا إلاَّ أَنْتَ.(١)

والأدلة على الحث على التخلُّق بحسن الخُلق كثيرة.

تنبيه:

على الصعيد الآخر يطلب بعض الناس حسن الظن فيمن لا يحسن الظن بهم، كأهل البدع والأهواء، الذين تبين ضلالهم وانحرافهم، فبدلاً من أن يعترفوا بالفضل لأهله، ويشكروا لهم صنيعهم إذ قدَّموا لهم نصحاً، فأهدوا لهم هدايا، وفعلوا الواجب عليهم نحوه ،ونحو دينهم وعقيدتهم ومنهجهم، بدلاً من توجيه كلمة شكر لهم لأجل ما قاموا به، فإذا بهم يرمونهم بالألقاب،كذباً وبهتاً وينفِّرون الناس منهم، ويصرفون الناس عنهم بطرائق خسيسة.

فهل هؤلاء يُحسن الظن بهم، أم أن ذلك مناقض للفراسة والكياسة والفطنة التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «**لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ**

---

(١) وقد ورد عن النبي ﷺ حِينَ انْصَرَفَ من صلاته دعا بهذا الدعاء، ولكن أخرجه البزار (٥٩٩٧) بسندٍ لا يصح.

مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ» [١]

تلك الكياسة التي كانت ظاهرة جداً عند الأئمة قديماً في تعاملهم مع أهل الأهواء والبدع.

كيف يُحسن ظن برجل يدعى السُّنية، وهو لا يستطيع أن يطعن في أمرائه إلا ويفعل ، ولتعرفنَّهم في لحن القول.

كيف يحسَّن الظن برجل يكون في مواطن الريبة مرات[٢]؟

كيف يُحَسَّن الظن بمن تأتيه بأدلةصحيحة صريحة في باب مسأله ما، فيأتيك بشُبَه: أدلة غير صحيحة،أو صحيحة غير صريحة، وبزلات علماء يؤيِّد به رأيه الفاسد، أو تفسيره الباطل لنصوص الكتاب والسنة،والذي يطغى به على الحق؟

---

(١) أخرجه البخاري(٦١٣٣) ومسلم (٢٩٩٨).

(٢)وهذا الإسرائيلي الذي استغاث بموسى عليه السلام على عدوه لما استصرخه يستنصره كما استغاثه بالأمس على آخر، فلما رآه موسيق وقد تكرر منه الصنيع قال له: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّآ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ القصص: ١٨

كيف يُحَسَّن الظَّن بشخصٍ، يُرى في مواطن الريبة مراراً ؟

كيف يُحَسَّن الظنّ بمن يتكبر على الخضوع للحق بعد ما حصحص، ويُعاند؟

كيف يُحَسَّن الظن بمن يظهر منه قرائن السوء ومراراً؟

فحُسن الظنِّ بالإخوان له موطنه .

فلا إحسان ظن بأهل التُّهم والشر، هذا لا يليق، ولا هو موطن حسن الظن، بل هذا يناقض الحكمة والفطنة.

كيف يُحَسَّن الظن في رجل يدَّعى إرادة الخير لبلاده وهو يطعن في الحاكم وينقده وينقد سياسته علنا،ويُجَوِّز الدعاء عليه، ويأبى أن يدعو له(١)

كيف يُحَسَّن الظن برجل يدَّعي نصرة الإسلام وهو يطعن في أهل العلم من أهل السنة،وهم رموز وأعلام هذا الدين، ومتى يكون هذا الانسان حصناً للإسلام وهو يطعن في رموزه، ثم يفتش عن زلاتهم

---

(١) وهذه قرائن تدل على إرادته كبوة الحاكم ليتناوله،لايريد إصلاحه، فإذا انضم إلى ذلك حبُّ السطو على كرسيه كما يُرَى كان هذا أقبح، عصمنا الله بالورع.

فيطعن فيهم بما لا يطعن به [١]، ذلك الذي غَلَبَتْ عليه نشوة النقد وشهوته، فما يجد نفسه إلا فيه، ولربما لم يكن مؤهَّلاً لهذا الباب أصلاً

ولذا تجد من هذا النوع تهَوّراً واندفاعاً في النقد، كيف يُحسَّن الظن بهذا ؟

كيف يُحسَّن الظن بمن يأبى إلا أن يتكَّلم فيما لم يتأهل له؟

كيف يُحَسَّن الظَّن بمن يتكبر عن قبول الحق ممن جاء به، ويُبيَّن له فلا يرجع، ولا يؤلي للبيان اهتماماً، وما فائدة حسن الظن في هذا ؟

وتقدم في النوع الرابع إباحة سوء الظن بأهل التُّهم .

---

(١) وقد قال ﷺ: « أقيلُوا ذَوِي الهيئاتِ عثراتِهِمْ»و إسناده حسن إن شاء الله.
أخرجه النسائي فى «الكبرى» (٧٢٥٣)، والسهمي– وطريقه أحسنها– فى «تاريخ جرجان» ص ١٦٤ ، وأخرجه ابن حبان (٩٤).
وله شاهد عن ابن عمر عند ابن الأعرابي فى «المعجم» (٣٢٧).

الفرح
بتبرئة ساحة الإخوان

تمهيد :

لقد كان سلف الأمة ي يحبون الخير لإخوانهم، ويحبون تبرئة ساحتهم مما يُنسب إليهم إذ السُّنة أن المرء يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

قال ﷺ (١): «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وقال ﷺ (٢): «..فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ».

والأدلة على حب المسلمين الخير لإخوانهم، وأنهم كالجسد الواحد،وأن بعضهم لبعض كالبنيان المرصوص...

ولسنا بصدد سردها كلها هنا.

قد والله ظهرت فرحهم ورضاهم بتبرئة ساحة إخوانهم بصريح قولهم، وأفعالهم بإثبات الدفاع عنهم كثيرة هي، ولم يوافق.

---

(١) كما في الصحيحين البخاري (١٣) ومسلم(٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) كما في صحيح مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

النبيُ ﷺ الصحابة فيما فيه إساءة ظنٍّ بإخوانهم، وكم ترى من نصح بعضهم لبعض، وهو يتضمَّن حب لخير لهم ،وإليك بيان ذلك،وبالله التوفيق.

وهذه مواقف إظهار فرحهم بتبرئة ساحة إخوانهم:

ففي شأن أم أسامة بن زيد رضي الله عنهما

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا مَسْرُورًا، تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ، فَقَالَ: « **أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ الْمُدْلِجِيُّ لِزَيْدٍ، وَأُسَامَةَ، وَرَأَى أَقْدَامَهُمَا: إِنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأَقْدَامِ مِنْ بَعْضٍ**»(١).

وفي حادثة الإفك:

قالت عائشة رضي الله عنها :«...فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُول الله ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ لِي:«**يَا عَائِشَة احْمَدِي الله، فَقَدْ بَرَّأَكِ الله**»، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْتُ: لاَ وَالله، لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلَّا الله، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} الآيَاتِ، فَلَمَّا أَنْزَلَ الله هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ

---

(١) أخرجه البخاري(٣٥٥٥) ومسلم(١٤٥٩).

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ:وَالله لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: {وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا} إِلَى قَوْلِهِ {غَفُورٌ رَحِيمٌ}...[1]

وفي قصة غزوة تبوك:

قال كعب رضي الله عنه في حديثه:...حتى ضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ الله ﷺ بِتَوْبَةِ الله عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَالله مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ الله عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ:

---

(١) أخرجه البخاري(٢٦٦١) ومسلم(٢٧٧٠) من عائشة رضي الله عنها.

حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَالله مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**»(١)

رأيت أحوالهم في هذا يحبون إدخال السرور على إخوانهم.

وحتى النساء كانت مسرورة فرحة بتوبة الله إخوانهن وبراءة ساحتهم من الذنوب.

لقد فرحت النساء بتوبة الله على كعب رضي الله عنه بعد ما أصابه من الشدة عليه في ذلك، فإنه حكي حديثه(٢) قال:«..وَكَانَ -يعني: النبي ﷺ- يَبْدَأُ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ، وَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ كَلاَمِي، وَكَلاَمِ صَاحِبَيَّ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْ كَلاَمِ أَحَدٍ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ غَيْرِنَا، فَاجْتَنَبَ النَّاسُ كَلاَمَنَا، فَلَبِثْتُ كَذَلِكَ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ الأَمْرُ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فَلاَ يُصَلِّي عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ،أَوْ يَمُوتَ رَسُولُ الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري(٤٤١٨) مسلم (٢٧٦٩).

(٢) كما في صحيح البخاري(٤٦٧٧).

فَأَكُونَ مِنَ النَّاسِ بِتِلْكَ الـمَنْزِلَةِ فَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلاَ يُصَلِّي وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ فَأَنْزَلَ الله تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَرَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي مَعْنِيَّةً فِي أَمْرِي،فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«**يَا أُمَّ سَلَمَةَ تِيبَ عَلَى كَعْبٍ**»،قَالَتْ:أَفَلاَ أُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرَهُ؟ قَالَ: «**إِذًا يَحْطِمَكُمُ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمُ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ**»، حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ صَلاَةَ الفَجْرِ آذَنَ بِتَوْبَةِ الله عَلَيْنَا، وَكَانَ إِذَا اسْتَبْشَرَ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ القَمَرِ..» الحديث...الله أكبر .

وفي غزوة تبوك أيضاً:

فَقَالَ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ:«**مَا فَعَلَ كَعْبٌ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ الله حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَالله يَا رَسُولَ الله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ..[1]

وكذلك في غزوة تبوك فرح ﷺ بإدراك أبي خيثمة رضي الله عنه

(١) كما في صحيح البخاري(٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩).

قال كعب رضي الله عنه :...فطَفِقْتُ، إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ، بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ ﷺ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ «**مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟**» قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ يَا رَسُولَ الله حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَالله يَا رَسُولَ الله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ**» فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ ....[1]

ولما ظن الصحابة بمالك بن الدخشن السوء فماذا

أخرج مسلم[2] عن عتبان بن مالك رضي الله عنه وفيه :«...فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُنِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ، لَا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«**لَا تَقُلْ لَهُ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ لَا**

---

(١) وهذا لفظ مسلم (٢٧٦٩).

(٢) برقم (٣٣).

إِلَهَ إِلَّا اللهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ؟» قَالَ: قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّمَا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ لِلْمُنَافِقِينَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»

وهل هذامن النبي ﷺ إلا لتغليب جانب الفرح بتبرئة ساحة الإخوان؟

وفي حادثة الإفك:

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ:«**يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ**»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالوَرَعِ...[1]

وَفي نفس الحديث

سأل رسول الله ﷺ الجارية بريرة :قَالَتْ بَرِيرَةُ: ما رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ، فَتَأْكُلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَعْذِرُنَا فِي رَجُلٍ

---

(١) أخرجه البخاري(٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠).

بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَ الله مَا عَلِمْتُ مِنْ أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا». (١)

وفي قصه المهاجرة الأولى للحبشة:

تحكي أم سلمة رضي الله عنها حينما كانوا في الحبشة عند النجاشي رضي الله عنه قالت: وَدَعَوْنَا الله لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَالتَّمْكِينِ لَهُ فِي بِلادِهِ، وَاسْتَوْسَقَ (٢) عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَهُوَ بِمَكَّةَ (٣).

وها هو يُطلب منه ﷺ الدعاء على قوم فيدعو لهم

ففي الصحيحين (٤) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ، عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ الله عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، قَالَ:

---

(١) كما في الرواية في صحيح البخاري (٢٦٣٧) ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) استوسق: أي استقر له.

(٣) أخرجه أحمد (١٧٤٠) بسندٍ حسن عنها.

(٤) أخرجه البخاري(٢٩٣٧) ومسلم (٢٥٢٤).

«اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ»

دفاع الإخوان عن إخوانهم

أولاً : من دفاع النبي ﷺ عن بعضهم:

تقدم دفاعه ﷺ عن مالك بن الدخشن ، ولم لا وقد قال ﷺ :«**مَنْ ذَبَّ عن عِرض أخيه بالغيب وجبت له الجنة** »وفي رواية:« **مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ** » (١)

وهذا دفاعه ﷺ عن صفية أم المؤمنين رضي الله عنها :

فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها (٢) قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ:«**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**» قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «**مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا**»(٣)

---

(١) وهو حديث حسن لطرقه التي بينتها في كتابي «أعمال تدخل صاحبها الجنة»

(٢)كما في سنن أبي داود (٤٨٧٥) بسندٍ ثابت.

(٣) المعنى: ما يسرني أن أتحدث بعيبه، أو ما يسرني أن أحاكيه بأن أفعل مثل قوله على وجه التنقيص، وأن لي كذا وكذا أي ولو أعطيت كذا وكذا من الدنيا شيئاً كثيراً.

وهذا دفاعه عن خديجة رضي الله عنها:

فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «**أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ**» قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ فَقَالَ: رَسُولُ الله ﷺ «**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**»(١).

وفي رواية (٢): « فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ تَمَعُّرًا مَا كُنْتُ أَرَاهُ إِلَّا عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ، أَوْ عِنْدَ الْمَخِيلَةِ حَتَّى يَنْظُرَ: أَرَحْمَةٌ أَمْ عَذَابٌ؟.

ثانياً دفاع الصحابة بعضهم عن بعض

تقدم دفاع معاذ بن جبل عن كعب بن مالك رضي الله عنه في غزوة تبوك.

وآخر يدافع عن جيرانه بحضرة النبي ﷺ ويعذره

عَنْ معاوية بن حيدة رضي الله عنه (١) قَالَ: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ نَاسًا مِنْ قَوْمِي فِي تُهْمَةٍ فَحَبَسَهُمْ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ

---

(١) وهذا لفظ مسلم (٢٤٣٥).

(٢)أخرجها أحمد(٢٥١٧١).وإسنادها قوي .

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا تَحْبِسُ جِيرَتِي؟ فَصَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّكَ لَتَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَتَسْتَخْلِي بِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا يَقُولُ؟**» فَجَعَلْتُ أَعْرِضُ بَيْنَهُمَا بِكَلَامٍ مَخَافَةَ أَنْ يَسْمَعَهَا ، فَيَدْعُو عَلَى قَوْمِي دَعْوَةً لَا يُفْلِحُونَ بَعْدَهَا قَالَ: فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى فَهِمَهَا فَقَالَ: «**قَدْ قَالُوهَا؟**» وَقَالَ:« **قَائِلُهَا مِنْهُمْ وَاللهِ لَوْ فَعَلْتُ لَكَانَ عَلَيَّ ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِمْ، خَلُّوا لَهُ عَنْ جِيرَانِهِ**»(٢)

.....

(١) فيماأخرجه عبد الرزاق(١٨٨٩١) وأحمد(٢٠٠١٩) بسندٍ حسن.

(٢) وقد ورد عند الطيالسي(٢٧٨٩)و أحمد(٢١٣١) بإسنادٍ معلول وأصل الحديث في الصحيح-:لَمَّا نَزَلَتْ: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا} [النور: ٤] قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الْأَنْصَارِ: أَهَكَذَا أُنْزِلَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَلُمْهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ غَيُورٌ، وَاللَّهِ مَا تَزَوَّجَ امْرَأَةً قَطُّ إِلَّا بِكْرًا، وَمَا طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ قَطُّ، فَاجْتَرَأَ رَجُلٌ مِنَّا عَلَى أَنْ يَتَزَوَّجَهَا مِنْ شِدَّةِ غَيْرَتِهِ، فَقَالَ سَعْدٌ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهَا حَقٌّ، وَأَنَّهَا مِنَ اللَّهِ وَلَكِنِّي قَدْ تَعَجَّبْتُ أَنِّي لَوْ وَجَدْتُ لَكَاعًا قَدْ تَفَخَّذَهَا رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَهِيجَهُ وَلَا أُحَرِّكَهُ، حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، فَوَاللَّهِ لَا آتِي بِهِمْ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ

وسعد بن أبي وقاص يدافع عن على رضي الله عنهما

عن خَيْثَمَةَ، قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أبي وقاص ﷺ في نفر ، فذكروا عليًا ﷺ فشتموه، فقال سعد ﷺ : مَهْلًا عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَإِنَّا أَصَبْنَا ذَنْبًا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَأَنْزَلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنفال: وأرجو أن تكون رحمة من الله تعالى سبقت لنا، فقال بعضهم: إن كان والله يبغضك ويسميك : الأخينس [(١)]، فضحك سعد ﷺ حتى استعلاه الضحك، ثم قال: أوليس الرَّجُلُ قَدْ يَجِدُ عَلَى أَخِيهِ فِي الْأَمْرِ ، يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، ثُمَّ لَا يَبْلُغُ ذَلِكَ أَمَانَتَهُ[(٢)]

دفاع على ﷺ عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

---

(١)أي أن علي يشتمك ويقول عنك الأخنيس لا يذكرك باسمك،والأخينس كلمة ذم وقدح.

(٢)صحيح أخرجه إسحاق،كما فى «المطالب العالية» (١٢/ ٥٦) رقم (٤٢٧٣)، والحاكم ... (٢/ ٣٣٠) بإسنادٍ صحيحٍ،وصححه الحافظ وذكر فيه فوائد جليلة،وهي واضحة.

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ، هُو أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ». (١) يعني دافتي المصحف.

دفاع على عن عثمان رضي الله عنهما:

قَالَ عَلِيٌّ: «أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي عُثْمَانَ، يَقُولُونَ: حَرقَ المَصَاحِفَ، وَاللهِ مَا حَرَقَهَا إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ وَلَوْ وُلِّيْتُ مِثْلَ الَّذِي وُلِّيَ لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِى... فَعَلَ» (٢).

وهذا دفاعه عن عثمان رضي الله عنهما

فعَنْ محمدِ بنِ حاطبٍ قالَ: سمعتُ علياً ﷺ يقولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ (الأنبياء:١٠١).قال: منهم عثمان» (٣)

---

(١)إسناده حسن. أخرجه ابن أبي شيبة وتخريجه في كتابي «عقيدة المسلم الصغير».

(٢)أخرجه ابن أبي داود فى «المصاحف» (٣٩، ٧٦، ٧٨)، وصححه الأئمة: الحافظ ابن حجر، والسيوطي، والألوسي رحمهم الله.

(٣)أخرجه أحمد فى «الفضائل» (٧٧١) بسندٍ صحيح .

وعنْ عليٍّ ﷺ قالَ: «خيرُ هذهِ الأُمَّةِ بعدَ نبيِّهَا أبو بكرٍ ثمَّ عمرُ ثمَّ عثمانُ». (١)

دفاعه ﷺ عن الزبير مع أنه كان في صفوف الآخرين

عنْ إبراهيمَ قالَ: «جاءَ ابنُ جرموز- قاتلُ الزُّبيرِ-يستأذنُ على عليٍّ فَحَجَبَهُ طويلاً ثمَّ أذنَ لَهُ، فقالَ:أما أهلُ البلاء فتجْفُوهُمْ، فقالَ عليٌّ ﷺ :«بفيكَ التُّرابُ إنِّي لأرجُو أنْ أكونَ أنا وطلحةُ والزُّبيرُ (٢) مِمَّنْ قالَ اللهُ فيهمْ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الحجر: ٤٧ (٣)

دفاعه عن أهل صفين ممن قاتَلوه ضد من سأله عن كفرهم!

عنْ عَبْدِ الوَاحِدِ بنِ أَبِي عَونٍ، قَالَ:«مَرَّ عَلِيُّ ابنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يَوْمَ صِفِّيْنَ وَهُو مُتَّكِئٌ عَلَى الأَشْتَرِ عَلَى قَتْلَى صِفِّينَ، فَإِذَا حَابِسٌ

---

(١)وهو صحيح. خرجته فى تحقيقي لكتاب «المصاحف» لابن أبي داود.

(٢)وفى رواية: «أنا وعثمان وطلحة والزبير».

(٣)صحيح. أخرجه أحمد فى «الفضائل» (١٢٩٩)، وابن الأعرابي فى «المعجم» (١٧٧٤)، وابن سعد فى «طبقاته» (٣/ ١١٣)، وابن أبي شيبة، وغيرهم.

اليَمَانِيُّ مَقْتُولٌ، فَقَالَ الأَشْتَرُ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، حَابِسٌ اليَمَانِي مَعَهُم يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيهِ عَلَامَةُ مُعَاوِيَةَ، أَمَا والله لَقَدْ عَهِدْتُهُ مُؤْمِناً، فَقَالَ عَلِيٌّ: وَالآَنَ هُو مُؤْمِنٌ» وَكَانَ حَابِسٌ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ أَهْلِ العِبَادَةِ وَالاجْتِهَادِ. (١)

وعَنْ مَكْحُولٍ:«أَنَّ أَصْحَابَ عَلِيٍّ رضي الله عنه سَأَلُوهُ عَنْ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ «مَا هُمْ؟ قَالَ: هُمْ الْمُؤْمِنُونَ». (٢)

وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ المَرْوَزِيُّ أَيْضاً (٣):«أَنَّ عَلِيًّا سَمِعَ رَجُلاً يَغْلُو فِي القَوْلِ يَوْمَ صِفِّيْنَ، فَقَالَ: لَا تَقُولُوا. إِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ زَعَمُوا أَنَّا بَغَيْنَا عَلَيْهِمْ، وَزَعَمْنَا أَنَّهُمْ بَغَوا عَلَيْنَا فَقَاتَلْنَاهُمْ».

عائشة رضي الله عنها تدافع عن الصحابة جميعاً

---

(١)إسناد صحيح رجاله ثقات. أخرجه محمد بن نصر المروزي فى «تعظيم قدر الصلاة» (٥٩٦)

(٢)إسناده ثابت عن مكحول. أخرجه المروزي فى ((تعظيم قدر الصلاة)) (٥٩٥).

(٣)بالأرقام (٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤)، وألفاظهم متقاربة والطرق يقوي بعضها بعضاً.

قالتْ رضي الله عنها: «يَا عُبَيْدَ الله بْنَ عَدِيٍّ؛ لَا يَغُرَّنَّكَ أَحَدٌ بَعْدَ الَّذِى تَعْلَمُ، فَوالله مَا احْتَقَرْتُ أَعْمَالَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى نَجَمَ الَّذِيْنَ طَعَنُوا عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه فَقَالُوا قَوْلاً لَا نُحْسِنُ مِثْلَهُ، وَقَرَأُوا قِرَاءَةً لَا نَقْرَأُ مِثْلَهَا، وَصَلُّوا صَلَاةً لَا نُصَلِّي مِثْلَهَا، فَلَمَّا تَدَبَّرْتُ الصَّنِيْعَ، إِذاً والله مَا يُقَارِبُونَ أَعْمَالَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَإِذَا أَعْجَبَكَ حُسْنُ قَوْلِ امْرِئٍ فَقُلْ ﴿ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ التوبة وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ أَحَدٌ». (١)

سعيد بن زيد – أحد العشرة–يدافع عن على بن أبي طالب رضي الله عنه .

عن رِيَاحِ بْنِ الْحَارِثِ: «أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَانَ فِى الْمَسْجِدِ الأَكْبَرِ وَعِنْدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ يُدْعَى سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ فَحَيَّاهُ الْمُغِيرَةُ وَأَجْلَسَهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ عَلَى السَّرِيرِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَاسْتَقْبَلَ الْمُغِيرَةَ فَسَبَّ وَسَبَّ، فَقَالَ: مَنْ يَسُبُّ هَذَا يَا مُغِيرَةُ؟ قَالَ: يَسُبُّ عَلِيَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ، قَالَ: يَا مُغِيرَ بْنَ شُعْبَ يَا مُغِيرَ

(١)صحيح ثابت لا مطعن فيه، راجع تخريجه فى كتابنا «التوضيحات الجلية» ص ٢٠٠، وقد بيَّنا فى كتابنا «ذم أصحاب الأهواء والبدع» سوء أدبهم قديماً وذكرنا أمثلة ذلك.

ابْنَ شُعْبَ ثَلاَثاً أَلاَ أَسْمَعُ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ لاَ تُنْكِرُ وَلاَ تُغَيِّرُ فَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بِمَا سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِى مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فَإِنِّى لَمْ أَكُنْ أَرْوِى عَنْهُ كَذِباً يَسْأَلُنِى عَنْهُ إِذَا لَقِيتُهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِى الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِى الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِى الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِى الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِى الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِى الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِى الْجَنَّةِ وَسَعْدُ ابْنُ مَالِكٍ فِى الْجَنَّةِ وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ فِى الْجَنَّةِ»، لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ سَمَّيْتُهُ - قَالَ - فَضَجَّ أَهْلُ الْمَسْجِدِ يُنَاشِدُونَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ الله مَنِ التَّاسِعُ قَالَ: نَاشَدْتُمُونِى بِالله - وَاللهُ عَظِيمٌ - أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَسُولُ الله ﷺ الْعَاشِرُ ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ يَمِيناً قَالَ: وَالله لَمَشْهَدُ شَهِدَهُ رَجُلٌ يُغَبَّرُ فِيهِ وَجْهَهُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ [١]

وأما ما كان بينهما من خُصُومة فشيئ لا يذكر

(١)صحيح. أخرجه أحمد (١/ ١٨٧)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٣)، وأبو داود (٤٦٥٢).

وعَنْ طارقِ بنِ شهابٍ قالَ: «كانَ بينَ خالدِ بنِ الوليدِ وبينَ سعدٍ كلامٌ، قالَ: فتناولَ رجلٌ خالداً عندَ سعدٍ قالَ: فقالَ سعدٌ: مهْ فإنَّ ما بينَنَا لمْ يبلغْ دينَنَا». (١)

فوائد حسن الظن بالناس

لو لم يكن في حُسنِ الظن إلا راحة البال وسلامته لكفى، فبها يسلم الإنسان من الخواطر الرديئة وآثارها من قلق، وأذي ، وتعب ...إلخ.

أولاً: حسن الظن من الإيمان، فلا يظن بالمؤمنين الخير إلا من كان منهم، والعكس بالعكس. قال تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ النور

ثانياً: في حسن الظن بالإخوان غلق أبواب الفتنةوالشر على الشيطان، وقد نهى الله عنه في الجملة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم

---

(١)صحيح.أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٠)، والطبراني فى« الكبير» (٤/ ١٠٦) رقم (٣٨١١) ، وأبو نعيم فى «الحلية»(١/ ٩٤).

بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات.

ومن يسيء الظنّ في أخيه المؤمن حَريٌّ به أن يغتابه أو يتجسس عليه،أو يتوانى في إكرامه، أو يحتقره ، ويرى نفسه أفضل منه، ولا شك أن هذه مسالك فيها هلكة.

ثالثاً: إحسان الظن بالإخوان فيها زيادة أُلفة ومودَّة ومحبة بين أفراد المجتمع، وحماية له من التمزُّق الذي هو واضح بين من يُسيئون الظن وأفراد المجتمع، بل هو لا يتحمل البشر، ولاالبشر يتحملونه.كم من امرأة طلقت بسبب سوء الظن من أحدهما، كم من أرحام قطعت الأرحام،ومن أصدقاء فُرِّق بينهم بسبب سوء الظن.

رابعاً: في حسن الظن تحصين للمجتمع من إشاعة الفواحش، وانتشار الرزائل، وبه يسلم المجتمع من إشاعة الفواحش ،ولذلك

خامساً:حسن الظن بالإخوان دليل على سلامة القلب، وزكاة النفس.

هذا ما يسر الله جمعه وأسأل الله تعالى أن يمن علينا بالإخلاص في القول والعمل، وأن يجنبنا مساوئ الأخلاق ودناياها، وأن يمسكنا بمعالى الأمور ويكرِّه إلينا سفاسفها، وأن يجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين،

وسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

كتبه أبو يحيي

محمد بن عبده

بلطيم ـ كفر الشيخ ـ مصر

الفهرس

تعريف حسن الظن ١٣
المطلوب من المسلم نحو أخيه ١٣
توجيه الأئمة نحو هذا الخلق الذميم(سوء الخلق) ١٤
سَبَبُ تَحرِيمِ سوء الظن بالإخوان ١٥
أقسامُ الظَّنِّ إجمالاً ودرجاته ١٥
النوع الثاني سوء الظن بالمسلمين والأبرياء وهو محرم ١٩
النوع الثالث من أنواع الظنون:ظنٌ لا إثم فيه ٢٠
عدَّة أخبار في الباب تؤيِّد المنع من سوء الظن في ثبوت أسانيدها نظرومعناها صحيح ٢٣
النوع الرابع من الظنون ٢٦
تحسين الظن بالمؤمنين ٢٧
وقد نهى النبي ﷺ عن سوء الظن بالمسلمين: ٢٨

سوء الظَّنِّ بالزَّوجة ٢٨

تجنُّب العاقل سوء الظن ٢٩

سيرة السلف رضي الله عنهم في هذا ٣٠

أسباب سوء الظن بالإخوان ٣١

من الأسباب المعينة على حسن الظن ٣٢

تنبيه: ٣٤

الفرح بتبرئة ساحة الاخوان ٣٨

تمهيد : ٣٩

مواقف إظهار فرح السلف بتبرئة ساحة إخوانهم ٤٠

مثال قوله ﷺ في شأن أم أسامة بن زيد رضي الله عنهما ٤٠

وفي حادثة الإفك: ٤٠

وفي قصة غزوة تبوك: ٤١

سرورالنساء كان وفرحهن بتوبة الله على إخوانهن وبراءة ساحتهم من الذنوب.

..... ٤٢

في غزوة تبوك أيضاً ٤٣

وكذلك في غزوة تبوك فرح ﷺ بإدراك أبي خيثمة رضي الله عنه ٤٣

دفع النبي ﷺ ظنِّ الصحابة بمالك بن الدخشن رضي الله عنه ٤٤

وفي حادثة الإفك: ٤٥

وَفي نفس الحديث ٤٥

وفي قصه المهاجرة الأولى للحبشة: ٤٦

وها هو يُطلب منه ﷺ الدعاء على قوم فيدعو لهم ٤٦

دفاع الإخوان عن إخوانهم ٤٧

أولاً من دفاع النبي ﷺ عن بعضهم ٤٧

وهذا دفاعه ﷺ عن صفية أم المؤمنين رضي الله عنها ٤٧

وهذا دفاعه ﷺ عن خديجة رضي الله عنها ٤٨

دفاع الصحابة ﷺ بعضهم عن بعض ٤٨
وآخر يدافع عن جيرانه بحضرة النبي ﷺ ويعذره ٤٩
سعد بن أبي وقاص يدافع عن على رضي الله عنه ٥٠
دفاع على ﷺ عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ٥١
دفاع على عن عثمان رضي الله عنهما ٥١
دفاعها عن الزبير مع أنه كان في صفوف الآخرين ٥٢
وعلى يدافع عن عثمان رضي الله عنهما ٥٢
دفاعه عن أهل صفين ممن قاتوه ضد من سأله عن كفرهم ٥٣
عائشة تدافع عن الصحابة ﷺ جميعاً ٥٤
سعيد بن زيد – أحد العشرة – يدافع عن على بن أبي طالبا. ٥٥
وما كان بينهما من خصومة فشيئ لا يذكر ٥٦
فوائد حسن الظن بالناس ٥٦
الفهرس ٥٩